سلسلة الأخلاق

قصص في الكرم

إعداد : مصطفى أحمد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الكرم خلق عظيم ، يغرس المحبة بين الناس ، ويزيد الألفة فيما بينهم .

وقد أرشد الله - سبحانه – عباده إلى الالتزام بالكرم ، كما حذرهم من الشح والبخل . قال تعالى : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) .

وكان ﷺ و صحابته رضوان الله عليهم من أشد الناس كرما وإن ضاقت عليهم الدنيا .. يقول الرسول ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ... "

وهذه القصص التي سنقرأها تتحدث عن الكرم ، فلْنتعلم منها ، ولْنأخذ ما فيها من عبرة وعظة .

أكرم العرب

كان للأصمعي صديق كريم ، اعتاد الأصمعي أن يزوره كثيراً ، ويأخذ من هداياه وعطاياه ، وذات مرة ذهب إليه كعادته ، فمنعه البواب من الدخول . فغضب الأصمعي وكتب في ورقة :

إذا كان الكريم له حجـــاب

فما فضل الكريم على اللئيم

ثم أعطى الورقة للبواب ليعطيها لصديقه ، فأخذها البواب ، ودخل للرجل . وبعد لحظات .. عاد البواب ، وأعاد الورقة للأصمعي ، ومعها كيس فيه خمسمائة دينار ، فلما نظـــر الأصـــمعي في الورقة ، وجد على ظهرها :

إذا كان الكريم قليل مـــــال

تحجَّب بالحجاب عن الغريم

فتعجب الأصمعي من كرم الرجل رغم ظروفه الصعبة .

وذهب الأصمعي إلى الخليفة المأمون وحكى له القصة ، وأراه الورقـــة والكـــيس ، فتعجـــب المأمون ، ونادى على أحد رجاله ، وقال له : اذهب مع الأصمعي إلى صديقه ، وأحضره لي من غير أن تزعجه . فلما أحضروا الرجل إلى المأمون ، سأله وهو في عجب شديد : ألم تأتنا بالأمس ؟

فقال الرجل : نعم .

فقال المأمون : ألم تشكُ لنا حالك ؟

فقال الرجل : نعم .

قال المأمون : ألم نعطك هذا الكيس ؟

فقال الرجل : نعم .

قال المأمون : وعندما سألك الأصمعي ببيت واحد من الشعر أعطيته الكيس !!

فقال الرجل : نعم يا أمير المؤمنين ، والله ما كذبتُ فيما شكوتُ لك ، ولكني استحييت مـــن الله تعالى أن أعيد قاصدي إلا كما أعادني أمير المؤمنين . (يقصد أنه لا بد أن يكون كريماً مثل أمـــير المؤمنين)

فقال له المأمون وهو فخور به : ما ولدت العرب أكرم منك .

ثم أكرمه المأمون ، وأعطاه الكثير من المال .

تجارة رابحة

كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تاجراً ، وكانت تجارته كبيرة ورابحة ، وكان يمتلك ثـــروة ضخمة .

وعندما تدخل قافلة تجارته إلى المدينة ، وهي مُحمَّلة بالبضائع ، تحدث ضجة عالية ؛ لعظمها ، ولكثرة ما تحمله .

وكان لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تجارة أخرى مع الله ، فقد كان دائم البذل والعطـــاء في سبيل الله .

فقد روي أنه تصدق بنصف ماله في عهد رسول الله ﷺ .

وروي أنه تصدق بخمسمائة فرس في سبيل الله .

وروي أنه تصدق بألف وخمسمائة ناقة في سبيل الله .

وهكذا يكون أغنياء المسلمين : لا يبخلون عن الإنفاق في سبيل الله ، ولا يرضون أن يبيتوا في فُرشهم الدافئة ، وإخوانهم من الفقراء يرتعدون من البرد ، وصغارهم يتألمون من الجوع .

العفو عن الدَّيْن

يُحكى أن قيس بن سعد رضي الله عنهما كان عنده بستان ، وباعه إلى معاوية بن أبي سـفيان رضي الله عنهما بتسعين ألفاً ، فلما أخذ الثمن ، أعطى نصفه للناس كهدايا وهبات . ثم طلب من المنادي أن ينـادي في المدينة بأن من كان محتاجاً إلى المال ، ويريد أن يقترض ، فليذهب إلى قيس ليقرضه . فجاء نـاس كثير إلى قيس ، فأقرضهم جميعاً ، حتى نفذ المال ، وكان قيس يأخذ على كل مقترض ورقـة فيهـا المبلغ الذي اقترضه (مثل الإيصال) .

وبعد فترة من الزمن مرض قيس ، فلم يزره إلا عدد قليل من أصحابه . فقال لزوجته : لَمَ قلَّ زواري ؟

فأخبرته أنهم يستحيون من زيارته ؛ لما له عليهم من ديون .

فأحضر قيس الأوراق التي سجل فيها الديون التي على الناس ، وأرسل لكل واحد الورقة الـتي فيها دينه ، ففرح الناس بذلك ، وشكروا لقيس كرمه وجوده .

و لم تمر ساعات حتى كثر الزوار ، وامتلأ بهم بيت قيس .

وهكذا كان قيس رضي الله عنه يقرض المحتاج ويقضي عن الفقراء ديونهم ، وكان يقول : " اللـهم ارزقني مالاً وفعالاً ، فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال " .

المال والدار لكم

يروى أنه كان لرجل صالح بيت جميل ، يعيش فيه مع زوجته وأولاده ، ترفرف عليهم السعادة ، ويحيطهم الأمن ، وفي إحدى السنين ، واجهته أزمة مالية ، فقرر أن يبيـع داره ، فجـاءه رجـل واشتراها منه ، ودفع له ثمنها .

وتسلم المشتري الدار ، وسكن فيها مع أهله ، فلما أتى الليل سمع بكاء . فسأله أهلـــه : مـــا هؤلاء ؟ .

فقالوا : إنهم أهل الرجل الذي باع لنا الدار .

فسأل الرجل : ولماذا يبكون ؟

فقالوا له : إنهم يبكون حزناً على دارهم التي اشتريناها منهم !!

وكان هذا المشتري تقيًّا كريماً ، فرقَّ قلبه لحال أهل البائع ، فأمر خادمه أن يـــذهب إلـــيهم ، ويخبرهم بأن المال والدار لهم جميعاً .

يا قوم .. أسلموا

كان رسول الله ﷺ جواداً كريماً ، يعطي الجميع في سخاء ، وكان لا يرد أحداً إذا طلب منه شيئاً ، وقد دخل بعض الناس في الإسلام ؛ طمعاً في كرم رسول الله ﷺ ، ورغبة في عطائه ، وبعـــد أن تنشرح صدورهم للإيمان ، وتمتلئ قلوبهم بنور الإسلام ، يكون الله ورسوله أحب إليهم من أموال الدنيا .

وقد كان لرسول الله ﷺ قطيع من الأغنام ، فرآه رجل وهو يرعى بـــين جـــبلين فأعجبـــه ، فذهب إلى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يعطيه له ، فلم يتردد ﷺ وأعطاه له .

فأخذ الرجل القطيع وهو مسرور ، وذهب إلى قومه ، فقال لهم : يا قوم ، أسلموا ، فو الله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر .

وفي ذلك قال أنس بن مالك رضي الله عنه : إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فمـــا يـــسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها . [مسلم] .

الصديق المدين

ذهب رجل إلى بيت صديق له ، وقال له : لقد أتيت لأطلب منك شيئاً . فقال الصديق : مـــا حاجتك ؟ فقال له : إن عليَّ ديناً ، وقد حان أوان تسديده ، وأريد أن أسدده .

فقام صديقه ، وأحضر المال الذي طلبه وزيادة . فأخذ الرجل المال ، وانصرف وهـــو شـــاكر وسعيد .

وجلس الصديق حزيناً ، وبكى بشدة ، فظنت الزوجة أنه يبكي حزناً على المال الذي أخـــذه الرجل ، فقالت له : لقد كان في وسعك أن تعتذر لصديقك ، ولا تعطه مالاً .. بدلاً من أن تبكـــي حزناً على ما أعطيته من مال ، لأنك تعلم أننا لا نملك ما يكفينا .

فقال الزوج : إنني أبكي ، لأني لم أسأل صاحبي من قبل عن حاله ، وتركته حتى تكاثرت عليه الديون ، واستدان من غيري ، ثم ها هو ذا يحتاج مالاً ليسد دينه ، ويطلب مني أن أقرضه ، وكـــان عليّ أن أتعرف على أحواله ، وأبادر أنا وأعطيه قبل أن يسألني .

كرم في الخفاء

استيقظ فقراء مدينة بغداد في الصباح ، وخرجوا من بيوتهم للـــسعي وراء أرزاقهـــم وقـــوت أولادهم ، فوجدوا على أعتاب بيوتهم أكياساً مملوءة بالدنانير ، فأخذوها وهم يتعجبون ويتساءلون : من أين جاءت ؟ .. ومن الذي أرسلها ؟

وفيما بعد عرف الناي أن الفضل بن يحيى الوزير العباسي هو الذي أمر غلمانه بـــأن يحملـــوا أكياس الدنانير ويضعوها أمام بيوت الفقراء والمحتاجين من أهل المدينة ، وأمرهم أن يفعلوا ذلـــك في السر حتى لا يراهم أحد ، فيكون عمله خالصاً لوجه الله تعالى .

وكان الفضل شديد الكرم ، ينفق بسخاء حتى بلغ ما أنفقه في ليلة واحدة مائة ألف دينـــار . وكان إذا جاء الشتاء تصدق بجميع ما في خزانته من كسوة الصيف ، وإذا جاء الصيف تصدَّق بجميع ما في خزانته من كسوة الشتاء ، فأحبه الناس لكرمه حبًّا شديداً .

الله أكرم

سأل موسى ﷺ ربَّه عن أدنى أهل الجنة ، وأقلهم منزلة .

فقال الله ﷻ : " هو رجل يجيء بعدما أُدْخل أهل الجنةِ الجنةَ ، فيُقال له : ادخل الجنة ، فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ؟! . فيقال له : أترضى أن يكون لك مثـــل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا ؟ . فيقول : رضيتُ رب .

فيقول له : لك ذلك ، ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيتُ رب . فيقـــول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولذَّت عينك . فيقول : رضيتُ رب " .

ثم سأل موسى ربه عن أعلى الناس مترلة في الجنة .

فقال الله ﷻ : " أولئك الذين أردتُ ، غرستُ كرامتهم بيدي ، وختمتُ عليها ، فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر " . (أي : هؤلاء الذين اصـــطفيتهم واختـــرتهم ، ولا يستطيع أي بشر تصور مدى ما أكرمتهم به وأعددته لهم من النعيم المقيم في الجنة) . [مسلم] .

سباق إلي الخير

كان الصحابة ﭫ يتسابقون في فعل الخيرات ، وكان أبو بكر ﭬ أسبقهم إلى ذلك .

وفي ذات مرة أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يتصدقوا ، فسارعوا جميعاً إلى تنفيذ أمره ﷺ .

فذهب عمر بن الخطاب ﭬ وأحضر نصف ماله ، وهو يحسب أنه قد جـــاء بـــأكثر ممـــا سيجيء به أبو بكر ﭬ ، وقال في نفسه : اليوم أسبق أبا بكر .

فلما أعطى المال للرسول ﷺ قال له ﷺ : " ما أبقيت لأهلك ؟ " . فقال عمر ﭬ : مثله .

وما هي إلا لحظات حتى جاء أبو بكر ﭬ وهو يحمل كل أمواله ، وأعطاها للرسول ﷺ . فقال له ﷺ " يا أبا بكر ، ما أبقيت لأهلك ؟ " ، قال : أبقيت لهم الله ورسوله .

عندئذ قال عمر ﭬ : والله لا أسبقه إلى شيء أبداً . (يقصد أن أبا بكر ﭬ ما ســـابق أحداً إلى خير إلا سبقه) .

كرم ذي النورين

كان ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه دائم البذل والعطاء ؛ فسيرته تمتلئ بمواقـــف الكـــرم والجود .

عندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ، وجد الناس يشربون من بئر بها تـــسمى (رُومَـــة) ، وكانت (رومة) أفضل آبار المدينة ، وكان مالك البئر لا يترك الناس يشربون منـــها إلا إذا دفعـــوا الثمن ، فقال رسول الله ﷺ : " من يشتري بئر رومة ، فيجعل دَلوه مع دِلاء المسلمين بخير له منه في الجنة " .

فسارع عثمان رضي الله عنه واشترى البئر ، ثم تصدق بها على الفقير والغني وابن السبيل ؛ يشربون منها بلا مقابل .

ومرة أخرى لاحظ ﷺ أن عدد المصلين قد ازداد ، وأن المسجد قد أصبح ضيقاً ، فقـــال ﷺ لأصحابه : " من يشتري بقعة آل فلان (يقصد الأرض المجاورة للمسجد) فيزيدها في المسجد بخـــير منها في الجنة ؟ " . فسارع عثمان رضي الله عنه واشتراها .

وعندما أراد الرسول ﷺ الخروج لغزوة تبوك ، كان المسلمون يمرون حينئذ بأيام فقر وضـــيق وعسر ، و لم يجد ﷺ ما يجهز به الجيش ، لذلك سمى هذا الجيش بجيش العسرة ، فنادى ﷺ : " من جهز جيش العسرة فله الجنة " . فسارع عثمان رضي الله عنه وجهز الجيش من ماله .

وشبع الصغار

في ليلة شديدة البرد ، حالكة الظلام ، جاءت امرأة إلى حاتم الطائي ، وكان حـــاتم مـــضرب المثل في الجود والكرم .

فقالت له : جئت إليك من عند أولادي ، وهم يصيحون ويبكون من شدة الجـــوع ، فهـــل أجدك عندك من الطعام ما يسد جوعهم ؟ .

فقال لها : والله لأُشبعنهم .

و لم يكن حاتم يملك في ذلك الوقت شيئاً سوى فرسه ، وكان يحبه حبًّا شديداً .

فقام بسرعة إلى فرسه وذبحه . ثم أوقد عليه النار حتى نضج . ثم أعطاها اللحم ، فأكلت وأكل أولادها حتى شبعوا جميعاً .

حقاً لقد كان حاتم الطائي رجلاً كريماً سخيًّا .

نخلة الجنة

كان أحد الصحابة يمتلك بستاناً ، وكان في هذا البستان نخلة يملكها رجل آخر .

وفي ذات يوم .. ذهب الصحابي إلى رسول الله ﷺ ، وطلب إليه أن يتوسط له عند صـــاحب النخلة ليتنازل له عنها . فأرسل ﷺ للرجل ، وقال له : أعطه إياها بنخلة في الجنة " فرفض الرجل .

فلما علم الصحابي الجليل أبو الدحداح رضي الله عنه بما حدث ، ذهب إلى صاحب النخلة وعـــرض عليه أن يشتري النخلة ، على أن يعطيه بستانه ثمناً لها . فوافق الرجل ؛ لأنـــه ســـيأخذ بـــستان أبي الدحداح كله مقابل نخلة واحدة !!

وذهب أبو الدحداح إلى رسول الله ﷺ وأخبره أنه اشترى النخلة ، وأنه قـــد وهبـــها لـــه ؛ ليعطيها لصاحب البستان .

فقال رسول الله ﷺ : " كم من عَذْقٍ رداح لأبي الدحداح في الجنة " (أي : ما أكثر النخـــل العظيم الذي أعده الله لأبي الدحداح في الجنة ؛ مكافأة له على ما فعل) .

وعاد أبو الدحداح إلى بستانه – وكان يسكن فيه مع امرأته وأولاده – ونادى على زوجته : يا أم الدحداح ، أُخرجي من البستان ، فإني قد بعته بنخلة في الجنة .

فقالت الزوجة المؤمنة : ربح البيع .

ونفدت الدراهم

ذات يوم .. أرسل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه إلى خالته السيدة عائشة رضي الله عنها مائة ألف درهم . فوضعت السيدة عائشة رضي الله عنها المال في طبق ، وأخذت توزعه على الفقراء ، حتى فرق الطبق من المال تماماً ، و لم تُبق في بيتها درهماً واحداً .

وكانت السيدة عائشة صائمة في ذلك اليوم ، فلما حان وقت الإفطار ، قالت لخادمتـــها : " هات فطوري " .

فلم تجد الخادمة شيئاً تقدمه لأم المؤمنين إلا الخبز والزيت ، فقالت : يـــا أم المـــؤمنين ! أمـــا استطعتِ أن تبقي لنا درهماً نشتري به لحماً ؟! فقالت أم المؤمنين رضي الله عنها : لو ذكرتيني لفعلت " .

وهكذا أكرمت السيدة عائشة رضي الله عنها غيرها ونسيت نفسها .

كرم عظيم

ذات يوم ، خرج صديقان في سفر لهما ، وبينما كانا يسيران في الصحراء ، هبت ريح شديدة ، وتلبدت السماء بالغيوم ، وسقط المطر بغزارة .

فأخذا يبحثان عن مكان يستظلان به حتى يهدأ المطر ، فوجدا خيمة فيها امرأة ، فاستأذنا منها أن ينتظرا عندها حتى يهدأ المطر فأذنت لهما .

وعندما عاد زوجها من الخارج قالت له زوجته : لقد نزل بنا ضيفان ، فقام الرجل ورحـــب بهما ، ثم جاء بناقة وذبحها ، وأعد لهما ، فلم يأكلا منها إلا القليل .

وفي اليوم الثاني ذبح لهما ذبيحة أخرى ، فقالا له : ما أكلنا من التي نحرت البارحة إلا القليل .

فقال لهما : إني لا أطعم ضيوفي من الطعام البائت .

وظلت السماء تمطر أياماً ، والرجل يذبح لهما ذبيحة كل يوم .

وعندما هدأت الرياح ، وتوقف المطر ، أخذ الصديقان يستعدان للرحيل ، وقبـــل أن يـــرحلا تركا في الخيمة مائة دينار كمكافأة للرجل ، و لم يكن موجوداً في الخيمة حينئذ .

وقالا لزوجته : اعتذري لنا عند زوجك عندما يرجع .

وعندما عاد الرجل أخبرته زوجته بما حدث ، فغضب غضباً شديداً ، وأخذ الدنانير ، ثم ركب فرسه ، وانطلق وراءهما .

وبعد مدة من الزمن ، لحق بهما في الطريق ، وخاطبهما بحدة وغضب ، فلما استفـــسرا عـــن السبب ، ألقى إليهما بكيس الدنانير ، وقال : خذوها وإلا طعنتكما برمحي هذا . ثم أخبرهما أنـــه لا يأخذ ثمن ضيافة أحد .

فأخذ الصديقان الدنانير ، وهما سعيدان بهذا الموقف الكريم .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد